

٣٤٢ وقاتل من خيلنا ٤٧٥ فرساً وجرح ٤٢ نبي الاحياء من فرسانها في الوادي حينما عدنا ثم عادوا اليها فرادى وازواجاً

ورأيت ربيقاً لي وانا عائد وهو يكاد يقع عن ظهر جواده فسأكته عن امره فقال ان رمية اصابت رجله فقلت له تمكّن في سرجك واخذت لجام فرسه بيدي وسرت مع بقية الفرسان فنجونا كلانا وأرسل هو الى المستنق ثم اتاني منه كتاب بعد حين يقول فيه انه بلغه اني رقيت وسامير جنرالاً فاجبتة نعم اني على الطريق فدبرت اونياشيا

ولا يزال الخلاف قائماً على كيفية وقوع الخطاء في الامر وعلى ما اذا كان اليوق قد امر بالحملة ام لا . فقد كان الامر اولاً " سيدوا " ثم " تقدموا الخيب " ولما رأى رجالنا انهم باتوا هدفاً لتيران الآكلة لم يطبقوا صبراً على تلك الحال فاطلقوا لجاذهم الاعنة وحملوا تلك الحملة الطائفة . ولكني لم اسمع اليوق يأمر بالحملة ولا سمع ذلك غيري من الذين شهدوا المعركة ولا يزالون احياء يرزقون

وامسب الكتاب في وصف فظائع تلك المعركة وشراسة الانسان اذا ثارت فيه القوة الغضبية وقلة جزاء الدول لابنائها الذين يسفكون دماءهم في سبيلها . وذلك كله من الامثلة الكثيرة على فظاعة الحروب وعلى جنون الناس الذين لا يزالون يعزلون طليها للفصل في خصوصاتهم

وراثة الذاكرة

ملخص مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر بقلم القس فوربس فيليس

فلما ترى احدنا الا ويخبرك انه زار مكاناً لم يزده من قبل او رأى منظرًا لم يره من قبل فلم تدعش تلك الزيارة ولا تلك الرؤية كأنهما شيان عاديان لا جديدان فيقول في نفسه " يلوح لي اني عرفت هذا المكان ورأيت هذا المنظر قبلاً فورا تلك الهضبة قريبة وفي آخر هذا الشارع ساحة " ويكون كذلك . والتي تاقص ما خبرته بنفسي من هذا القيل والقول زرت رومية منذ عشر سنوات لاول مرة ففنا رأيت بعض آثارها القديمة المشهورة مثل حمامات كركلا والكلوسيموم (مشهد الالعب الرومانية) وسراديب كالكتوس وغريها خيل لي اني رأيتها قبلاً فلذلك لم تدعشي رؤيتها فنقلت لعل السبب في ذلك اني رأيتها صورها

قبلاً ولكن هذا يفسر منظرها الخارجي ولا يفسر منظرها الداخلي . وبعد أيام قليلة ذهبت
الى نيقوليا فلما وصلتها ورأيتها في وما حولها من الضواحي كنت كما نبي لم أر منظرًا جديدًا
بل كما نبي أرى قرية ولدت وولدت فيها . نجعت أصف لرفاتي ما كنت عبيد في
القدم وصفًا مطرلاً دقيقًا ولم أكن قد قرأت عنها شيئًا فاستدلوا اني درست تاريخها درسًا
خسوفياً ثم أخذ ذلك المنظر ينواري من تخيلتي فلم أعد استطيع ان اتول شيئًا جلياً عنه بل
بقيت فيها ذكرى اشياء متقطعة لا يشق وصفها علة ولا يروي غلة

وزرت مرة أخرى انا ورفيقي في مكاننا في انكثرا لم نزره قبلاً فقال في عرض حديثه
معي " يقولون ان في هذه الناحية قسماً من طريق رومانية قديمة ولكنني لا اعلم هل هي في
هذه الجهة او الجهة المقابلة " فقلت " انا اعلم " وشئت اعامة وانا موثق اني مهتم الى غرضي
لا بحالة وكان كذلك . شعرت حينئذ اني زرت ذلك المكان من قبل فارساً مدرتاً

فبانان الحادثان واثامها حملاني على مخاطبة اصداقائي في هذا الموضوع فقص " علي "
كثيرون قصصاً تشبه ما جرى لي تماماً وهالك ما جرى لقبس تبرأى مني ومسع . فانه
زارني ذات يوم وطلب مني ان ارافقه الى حصن روماني قديم يبعد نحو اربعة اميال عن
مكاني لمشاهدة خرابيه وقال انه يتذكر انه كان يسكن هناك في زمن من الازمان وانه كان
كاهناً في عهد احتلال الرومانيين لانكثرا . علي ان ما ادعيتي لشديده في شخص خراب
يرج هناك قائلاً " انه كان في اعلاه قفرة كنا نركو فيها سارية وكان رماننا يصعدون الى
راسها في سلال مبطنة بالجلد ليرموا زعماء القبائل البربرية بنجالم ايام الحصار " . فوجدنا
القفرة كما قال

ومن المسائل التي أكثر من سواها للذين اجتمع بهم عند البحث في هذا الموضوع هو
" ألم تشعروا البتة عند رؤيتكم مكاننا لاول مرة انكم رأيتوه قبلاً " فكان ٣٠ في المئة
يجابونني بالاجاب . وكان قليلون يرددون في الجواب خوف الخرد والسخرية او خوف ان
يكونوا قد اخطاوا المراد من سوالي



هذا وان تذكر هذه الحوادث واثامها يختلف كل الاختلاف عن تذكرنا لنا قديماً
عند سماعنا ايده يعني بعد ان كدت نساها وعن تذكرنا وجه رجل عرفناه قبلاً ثم كاد طول
الزمان يحو أثره من ذاكرتنا . فان عند سماعنا ذلك القصر ورؤيتنا ذلك الوجه أخذ تذكر
تدريجياً انفسنا من محفوظات اختبارنا الماضي وانما نسيت عليمًا عنك انفسنا واما تذكرنا

الحوادث المذكورة آنفاً شعور بثنائي باننا وجدنا في زمن ماضٍ في مكان لا نعلمه ورأينا تلك الحادثة واشتركنا فيها بوجه من الوجوه

أوليس هذا الامر الغريب من تخيلات الشعراء او احلام النائمين ولا هو بالامر الحديث عهداً . فقد نشأ في الشرق سبط الوحي ومصدر الاديان وكان له فلاسفته وشعراؤه وهو ظاهر كل الظهور في البوذية والديانة المصرية القديمة . وقد بحث افلاطون فيه وسماه تذكرو الوجود السابق او الاشياء التي عرفت قبلاً ونظرت . وفسره اليهود والفريسيون بما ماله ان الايرار يستلعمون ان يعيشوا ثانية كما نص عليه يوسيفوس . وكان البعض يعتقدون ان يوحنا المعمدان انما هو ايليا مجدداً ثانية كما ورد في الانجيل . وبحث آباء الكنيسة المسيحية الاولون فيه فسماه تارة التخصص او التسامح وطوراً التجسد واعتقد بعضهم ولا ريب ان امثال الحوادث المذكورة آنفاً انما تقصر بالوجود السابق . وذكره كثيرون من علماء الالمان مثل لسخ وهيجل وليبنز وهردر وشطي . ومن شعراء الانكليز مثل شلي ووردسورث . قال وردسورث " ان ميلادنا انما هو نوم ونيان والروح التي تطلع معنا وهي كوكب حياتنا قد فابت قبلاً في سكان آخروات من منزل بعيد "

*.

وبعد ان ذكر كاتب المقالة هذه الحوادث وامثالها تقدم الى بيان سببها الطبيعي فقال عندي سؤال اسأله في هذا المقام وهو ألا يمكن ان يكون هناك شيء نسج وراثه الذائرة . فان الولد قد يرث بعض ملامح ابيه وصفات جدته واولاد يمكن ان يرث شيئاً من ذائرة اسلافه . او لا يمكن ان تكون تلك التذكارات تنبه شيء موجود في دماغنا كان نسياً فلما صادف الاحوال الملائمة له ظهر من عالم الخفاء . فاذا صح ذلك فان لنا في وراثه الذائرة حلاً طبيعياً لكثير من الاسرار التي تعرض لنا في حياتنا من غير ان نعلم في حلها الى الوحي والالهام

ومن المعلوم ان كثيراً من اخلاق السلف الاول وصفاته انطبع على اذهان خلقه حتى ان ما كان في بادية الامر ارادة بات الآن حركة غير اختيارية . ألا تروا اذا نشيت في طريق منفردة مظلمة انظر ذات اليمين وذات اليسار ومن فوق كنتي فكيف اعتدت هذه العادة ألا يمكن ان تكون قد انصلت اليها بالارث من السلف . فان السلف الشوحش تعلم باخباره الطويل ان يكون على حذر اذا جاز مكاناً منفرداً مثلاً

واذا لعبت براسي سورة الفيظ والحنق نكرشت يداي وتوترت ثفتاي وكشرت عن

استاني كمن يجتز لتروب وهذا كان شان السلف الاول عندما كانت يصب على عدو ليزنه
 ياسانه واظهاره . وقد ظالما خطت انه اذا وصف احد شيئاً بقوله انه كرهه الراضحة فتح فتقريده
 وحركته انه غير اختياريه كأنه يذكّر قطعة جيفة ادناها السلف من اتقوا ليستها قبل
 اكلا فاعانتها نفسه لخبث ورائحتها والقاهها الى الارض مشتمراً منها . زار دارووت ذات يوم
 حدائق الحيوانات في لندن ثم قال "وقفت امام صليّ وضع في صندوق من الزجاج السميك
 وانا عازم كل العزم الا انكص الى الوراء اذا وثب الصل على (لان بينهما الزجاج السميك) فلما
 جمع نفسه وثب وثبتة المعبودة خائبي عزيمتي ونكصت الى الوراء بضع خطوات بسرعة غريبة
 وذلك لان وهمي كان اضعف من ارادتي وادراكي"

وفي خلال كل يوم تبدي حركات واشارات مختلفة بلا اتباه لها ولا تخفي فيها لان العادة
 تقينا من الخطاء . فاني انهض صباحاً من فراشي واغسل والبس ملابسي وانا لا اكاد اشعر
 بما فعلت . وذلك لان كل خلية من خلايا الدماغ التنتب وظيفتها حتى اصحت قادرة على اتماها
 بلا مشاورة العقل ونشأ في التعن آلة فرعية ثم وظيفتها بنفسها وتنتج بطبيعتنا حتى تصير
 وراية . وعلى هذا المنوال فتاد رؤيه مكان حتى تنطج صورته في ذهننا وتوارثها الخلف عنا
 ولقد سمعت غير مرة اناساً يخضرون وم يقولون "يخيل لنا ان ما يجري الآن قد جرى
 ايضاً في حياتنا سابقاً مع علمنا ان ذلك ليس بصحيح ونكتنا نحاول تذكره فلا نستطيع"
 والسبب في ذلك ان في اعماق الذاكرة اثرأ يمتد الامر الحاضر امامنا صورة له

ثم اذا تخيلنا باشيء لم نرها ولا سمعنا بها ولا وقعت تحت اختبارنا في ساعات يقظتنا .
 حملت ذات ليلة اني اشهد معركة وانا في اورعنة من الفرسان وقد أمرنا بالمجوم وكان بجاني
 فارس اتذكر الآن صورة وجهه جلياً حتى لو كنت مصوراً لاستطعت تصويره . وتعال
 تفرق الصدور امامنا شمالاً ويميناً واذا يطرية مدافع قد استقبلتنا من الامام بنيرانها وعقد
 الدخان والثير سخائب فوق رؤوسنا وبتنا نسبح في بحر من الحديد والدماء . فاستنقت اذذاك
 مذعوراً وانا اصيح قائلاً "اعوذ بالله اني لم ار مثل هذا قبلاً" فهذه الحادثة يتظرها
 الرائع جرت لاحد اسلافي بلا ريب فتوارثها خلفنا عن سلف . وقد ظالما خطر بيالي ان
 احلامنا تصورات حقيقية وراثتها وان تكن على الغالب اضغاثاً لا ارتباط فيها ولا معنى لها
 ومثل ذلك يقال في رؤيه الخيالات فان زيدا يرى خيالاً ويقاين يئنه وبين صور اسلافه
 فيظن انه خيال واحد منهم لانه يشبهه وتعليل ذلك ان احد اسلافه رأى رجلاً في القرون
 السالفة وكانت رؤيته اياه على صورة اثرت في ذهنه تأثيراً شديداً فانقلت الى زيد بانوراثة